

## إشكالية التخيل في البناء الاستعاري عند الزمخشريّ / دراسة بلاغية

**The problem of fictionalization in the metaphorical construction in Al-Zamakhshari \ a rhetorical study**ط. د. دومي أحمد<sup>1</sup>د. شعيب يحيى<sup>2</sup><sup>1</sup> المركز الجامعي بمغنية - تلمسان - الجزائر، Ahmeddoumi2021@gmail.com<sup>2</sup> جامعة د. الطاهر مولاي - سعيدة - الجزائر، Yahiachaib\_7@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/12/15

تاريخ القبول: 2021/11/09

تاريخ الإرسال: 2021/09/23

**ملخص:**

هذا البحث تتمحور فكرته حول قضية التخيل في تشكيله الصورة الاستعارية عند العلامة الزمخشريّ، فقد اختلفَ البلاغيون حول دلالة التخيل، فبعضهم يرى التخيل إثبات الشيء لغير صاحبه، وبعضهم يراه إثبات صورة وهمية أفرزها تشبيه بين طرف وهمي وطرف حسي، ونتيجة لذلك اختلفوا في مفهوم الاستعارة التخيلية، وكان للزمخشريّ رأيه المتميز الوسط. وقد حدّد البحث أهمّ الضوابط التي ارتكزت عليها كلا الدالتين. مُتَّهجا في ذلك المنهج الوصفي التحليلي، والتمثيلات البلاغية اليسيرة.

**كلمات مفتاحية:** التخيل، الاستعارة، البنية، البلاغة العربية، الزمخشري.

**Abstract:**

The idea idea in this research revolves around the issue of fictionalization in the composition of the metaphorical image in Al-Zamakhshari's work. Rhetoric scholars differed about the meaning of imagination. Some of them consider imagination as proving something to another person, and others consider it as proving a fake image produced by a metaphor linking a fictitious party and a real one. As a result, they differed on the concept of the imaginary metaphor. Al-Zamakhshari had his own distinct middle opinion. The research identified the

المؤلف المراسل: دومي أحمد.

most important rules on which both indications were based following the descriptive analytical approach, and the easy rhetorical representations.

**Keywords:** Fictionalization; Metaphor; Structure; Arabic rhetoric; Al-Zamakhshari.

### مقدمة:

لقد عرّف البلاغيون التخيل من خلال دراسة الصورة البيانية أكثر من أي جانبٍ آخر، وقد نال حظوه عندهم بما خصّصوه من مناقشات وإضافاتٍ حوله. وكانت الاستعارة من أكثر الصور البيانية التي التصق بها هذا المصطلح، إذ إنهم جعلوا أحد أقسامها الرئيسية صورةً تُسمّى الاستعارة التخيلية. ولكن علماء البيان اختلفوا في تشكيل هذه الصورة، وفي ضبط سماتها الأساسية التي تُميّزها، بناءً على اختلافهم في ماهية التخيل، وكوّنه ملازماً للممكنية أو غير ملازم، فكان لجُمهورهم رأي، وللسكاكي رأي، وتميّز الزمخشري برأيٍ وسط بينهما. فما هي أنماط الاختلاف التي عرّفها المصطلح في علم البيان؟، وإلى أي حدّ تميّز رأي الزمخشري في الاستعارة التخيلية؟ وما هي أهمّ الضوابط التي اشترطوها في بنيتها؟ هذه التساؤلات تمثل الإشكالية التي سيحاول البحث الإجابة عنها، مُستعيناً بالمنهج الوصفي التحليلي، والتمثيلات اليسيرة.

### 1. مفهوم التخيل في علم البيان:

ذكر البلاغيون مُصطلح التخيل ضمن الأقسام المجازية، تحت ما يُسمّى الاستعارة التخيلية، وقد اتفق أغلبهم على معنىٍ محدّدٍ للتخيل، إلا السكاكي (626هـ) أحد مؤسسي البلاغة الذي أعطى مفهومًا مخالفًا. يقول الدسوقي (ت1230هـ): "التخيل إمّا إثبات الشيء لغير ما هو له كما عند الجُمهور، وإمّا إثبات صورة وهمية كما عند السكاكي"<sup>1</sup>.

والزمخشري (538هـ) قد وافق جمهور البلاغيين في معنى التخيل، غير أنه خالفهم في كونه ملازماً للممكنية كما سرى في المباحث الموالية.

وبهذا فالتخيل البياني مفهومان اثنان هما كما يلي:

1. 1 عند الزمخشري وجمهور البلاغيين: التخيل إثبات الشيء لغير ما هو له.

ويكون بين طرفين اثنين في التشبيه، أحد الطرفين له صفات لازمة تخصه، فتؤخذ بعض هذه الصفات اللازمة وتثبت للطرف الآخر، كإثبات صفة الزئير الخاصة بالأسد لأحد البشر فيقال زار فلان. أو كإثبات اليد لريح الشمال في قول لبيد بن ربيعة (41هـ):

وَعَدَاةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وَقَرَّةٍ إِذْ أَصْبَحْتُ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا<sup>2</sup>

أي: ربّ عداة ریح قد كَشَفْتُ بُرودته بإطعام الطعام للفقراء وكسوتهم وإيقاد النيران لهم.

التخيل هنا إثبات اليد للشمال، ولفظ اليد حقيقة لغوية مُستعملة في معناه الموضوع له. فالتخيل ناتج من إثبات صفة لغير صاحبها، وهو عند البلاغيين مجاز في الإثبات وليس مجازا في اللفظ، لأنّ كلّ لفظٍ في التخيل مُستعملٌ على حقيقته، فهو هنا من المجاز العقلي<sup>3</sup>.

### 1. 2 عند السكاكي: التخيلُ إثباتُ صورة وهمية، عن طريق تشبيهها بصورة حسية<sup>4</sup>.

انقرّد السكاكي بهذا المفهوم، وقد جعل الوهم شرطاً أساسياً في التخيل أثناء حديثه عن الاستعارة التخيلية، والتي تكون أيضا بين طرفين في التشبيه، والتخيل هو استعمال صورة مُتوهمةٍ مُشابهةٍ لصورة محقّقة. كقولهم (أظفار الموت): إذ الموت ليست له أظفار، فهذه الأظفار المثبتة له ليست الأظفار الحقيقية، بل هي أظفار وهمية تُشبه الحقيقية. أي أننا توهمنا للموت شيئا يُشبه معنى الأظفار، وهذا الذي توهمناه لَمَّا شبهناه بمعنى الأظفار أطلقنا عليه اسم أظفار. إذن ففي (أظفار الموت) تخيل في لفظة أظفار، لأنها صورة وهمية شبيهة بصورة حسية. وهي عند السكاكي مجاز وقع في اللفظ، أي لفظ أظفار مجازي غير حقيقي<sup>5</sup>.

عكس باقي البلاغيين الذين يرون هذا اللفظ حقيقيا، وإنما التخيل هو في إثبات الأظفار للموت مجازا إسناديا.

### 2. الاستعارة التخيلية ومذاهبها:

بناءً على اختلافهم في مفهوم التخيل، اختلف البلاغيون في تعريف الاستعارة التخيلية إلى ثلاثة آراء. فكان للجمهور ضوابطه لهذا النوع من الاستعارة، وكان للسكاكي ضوابطه المختلفة، وكان للزمخشري ضوابطه الخاصة التي تُعدُّ مذهباً وسطاً بين المذهبين.

وفيما يلي تفصيلٌ حول هذه الآراء:

## 2.1 الاستعارة التخيلية عند جمهور البلاغيين:

هي "إثباتٌ لازم المشبه به للمشبه"6، أي إثباتٌ لازم المستعار منه للمستعار له، على أن يُتَّصَد باللازم معناه الحقيقي، كَقَوْلِهِمْ (بَكَتِ السَّمَاءُ)، إذ أثبتوا البكاء الذي هو من لوازم البشر للسماء، فالبكاء استُعْمِلَ بالمعنى الحقيقي، وإثباتُ البكاء للسماء استعارة تخيلية.

والبلاغيون جَعَلُوا للتخيلية قِسْمًا آخَرَ يُقَابِلُهَا يُسَمَّى الاستعارة التحقيقية، أي إنَّ الاستعارة إمَّا تخيلية وإمَّا تحقيقية. والفرقُ بينهما أنَّ التخيلية مُلَازِمَةٌ للمكنية دائماً، فحيثما وُجِدَت المكنية وُجِدَت التخيلية، والعكسُ صحيح. أمَّا التحقيقية7 فهي دائماً استعارة تصريحية8.

فكُلُّ استعارة تصريحية سواء أكانت أصلية أو تبعية هي استعارة تصريحية تحقيقية. مثل قولهم (التقيتُ بحراً في الجامعة) تشبيهاً للعالم بالبحر، ففي (بحر) استعارة تصريحية تحقيقية أصلية، ومثل (زأر زيد) تشبيهاً للصراخ الشديد بالزئير، ففي (زأر) استعارة تصريحية تحقيقية تبعية. وكلُّ استعارة مكنية يوجد في قرينتها صورة أخرى تُسَمَّى استعارة تخيلية. وهما صورتان مُتلازمتان، مثل (أظفار الموت)، ففي تشبيه الموت بالحيوان المفترس استعارة مكنية، وفي إثبات الأظفار الحقيقية للموت استعارة تخيلية.

ومثل (زأر زيد) ففي تشبيه زيد بالأسد استعارة مكنية، بحذف المشبه به (الأسد) وإبقاء أحد لوازمه (الزئير)، وفي إثبات الزئير الحقيقي لزيدٍ صورةً أخرى هي استعارة تخيلية.

أي إننا إذا حَلَلْنَا صورة (زأر زيد) على أنها مكنية وَجَبَ وُجُودُ الصورة الأخرى وهي التخيلية، أما إن حَلَلْنَاها على أنها تصريحية تحقيقية فلا وجود لمكنية ولا تخيلية. هذا هو رأي البلاغيين في هذا النوع9.

والبلاغيون يُقَسِّمُونَ الاستعارة باعتبار التخيل إلى: تحقيقية قطعاً، وتخييلية قطعاً، ومُحتملة للتحقيق والتخيل10. وصورة (زأر زيد) هو من النوع الأخير المُحتمل لهما.

وقبل الانتقال إلى السكاكي، سنؤجِّز أهمَّ الضوابط التي يراها جمهور البلاغيين للاستعارة

التخييلية:

- الاستعارة التخيلية هي إثباتٌ لازم المشبه به للمشبه، أو إثبات لازم لغير ما هو له.
- الاستعارة التخيلية هي قرينة للاستعارة المكنية.
- قرينة المكنية مُستعملة في معناها الحقيقي، والمجاز هو في الإثبات.
- المكنية والتخييلية مُتلازمان، إذا وُجِدَتْ إحداهما وُجِدَتْ الأخرى.

## 2.2 الاستعارة التخيلية عند السكاكي:

التخييلية عنده هي "أن تُسَمِّيَ بِاسْمِ صُورَةٍ مُتَحَقِّقَةٍ صُورَةً عِنْدَكَ وَهَيْمَةً مَحْضَةً تُقَدِّرُهَا مُشَابَهَةً لَهَا"<sup>11</sup>، أي هي ما استُعْمِلَ فِي صُورَةٍ مُتَوَهِّمَةٍ مَحْضَةٍ مُشَابَهَةٍ لِصُورَةٍ مُحَقَّقَةٍ، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْمَشْبَه الْمَتْرُوكَ شَيْئًا وَهَيْمًا مَحْضًا لَا تَحَقُّقَ لَهُ إِلَّا فِي مَجْرَدِ الْوَهْمِ، وَلَا تَحَقُّقَ لَهُ بِاعْتِبَارِ ذَاتِهِ وَلَا بِاعْتِبَارِ ثَبُوتِهِ<sup>12</sup>. ومثاله المشهور هو بيتُ أَبِي دُوَيْبِ الْهَنْدَلِيِّ (27هـ):

وَإِذَا الْمَنِةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ<sup>13</sup>

موضع الصورة هو (أظفار المنية)، والمنية ليس من لوازمها الأظفار، وهذا يدلُّ على أن الأظفار المقصودة في (أظفار المنية) ليست أظفاراً حقيقية، بل توهَّمتها وجودَ شيءٍ يُشبه الأظفار الحقيقية، ومن ثمَّ أطلقنا على هذا الشيء الشبيه بالأظفار الحقيقية اسمَ أظفار، فالمستعار له هو الشيء الوهمي، والمستعار منه هو الأظفار الحقيقية، واللفظُ المستعار هو أظفار، فهي بهذا التحليل من الاستعارة التصريحية. لأنَّ اللفظَ نُقِلَ مِنْ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ لِمَعْنَى مُتَخَيَّلٍ أَيْ مُتَوَهَّمٍ (لَا ثُبُوتَ لَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ). فهذه الاستعارة مجاز في اللفظ لا الإثبات<sup>14</sup>.

وللتخييلية -عند السكاكي- قَسِيمٌ آخَرٌ أَيْضًا هُوَ الْاسْتِعَارَةُ التَّحْقِيقِيَّةُ، مِثْلَمَا هُوَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، غَيْرَ أَنَّ كِلَا الْاسْتِعَارَتَيْنِ (التَّحْقِيقِيَّةُ وَالتَّخْيِيلِيَّةُ) عِنْدَهُ مِنَ التَّصْرِيحِيَّةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ التَّحْقِيقِيَّةَ يَكُونُ الْمَشْبَهُ فِيهَا ثَابِتًا فِي الْحِسِّ أَوْ فِي الْعَقْلِ، أَمَّا التَّخْيِيلِيَّةُ فَيَكُونُ الْمَشْبَهُ ثَابِتًا فِي الْوَهْمِ<sup>15</sup>.

فالمشبهة الثابت في الحسّ مثل: (رأيتُ بحراً في الجامعة)، المشبه هو العالم، المشبّه به بحر.  
والمشبهة الثابت في العقل مثل: (وَقَعَ فِي قَلْبِي نَوْزٌ أَضَاءَ حَيَاتِي)، المشبّه هو العلم، المشبّه به نور.

والمشبهة الثابت في الوهم مثل: (أظفار الموت)، المشبّه الأظفار الوهمية، المشبّه به الأظفار الحقيقية. أطلق اسم المشبّه به وهو الأظفار المحقّقة على المشبّه وهو صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحقّقة، والقرينة إضافتها إلى الموت.

والسكاكي لم يشترط تلازم التخيلية والمكنية، بل أكثر من ذلك قد تأتي عنده قرينة المكنية تخيلية أو تحقيقية أو حقيقة<sup>16</sup>:

قد تكون القرينة استعارة تخيلية كالمثال السابق (أظفار الموت)، لأن القرينة لفظٌ مُستعارٌ من معنى حقيقيّ إلى معنى وهميّ.

وقد تكون استعارة تحقيقية، أي مُستعارة لأمرٍ محقّقٍ كما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود: 44]، وذلك أنه قال البلع استعارةً عن غور الماء في الأرض، وهو منقول من إدخال الطعام من الخلق إلى الجوف، وقال إنَّ الماء استعارة مكنية عن الغذاء الذي يأكله الحيوان، لأنَّ البلع إنما يُناسبُ بحسبِ أصلِهِ الطعامَ.

وقد تكون حقيقةً كما في (أنبَتَ الربيعُ البقلَ)، لأنَّ لفظَ الإنباتِ مُستعملٌ بمعناه الحقيقي، وليس فيه تخيلية ولا تحقيقية، والمجازُ إنما وقع في إسناد الإنبات إلى الربيع إسناداً مجازياً، وهذا عند جمهور البلاغيين تخيل وليس عند السكاكي.

إذن فقرينة المكنية عند السكاكي قد تكون مجازاً وقد تكون حقيقة، فإن كانت مجازاً فهي إما استعارة تصريحية تخيلية وإما تصريحية تحقيقية، وإن كانت حقيقة فإسنادها غير حقيقي وهي من المجاز العقلي.

بيد أنَّ السكاكيّ ينفرد عن الجميع في أنَّ التخيلية قد تحيىء بدون المكنية، إذ لما فسّر التخيلية باللفظ المنقول من معنى محقّقٍ [المشبه به] إلى معنى مُتوهمٍ [المشبه] صحَّ عنده أن تستقلَّ

هذه التخييلية عن المكنية، مثل: أظفار المنية الشبيهة بالأسد. فيتقرَّر بما ذُكِر أنَّ التخييلية أعمُّ محلاً عند السكاكي من المكنية<sup>17</sup>.

وقد نفى القزويني (739هـ) ورودَ التخييلية وحدها، وردَّ المثال الذي وضعه السكاكي (أظفار المنية الشبيهة بالأسد)، وقال أنَّ التشبيه فيه صريح، وإذا صُرحَّ بالتشبيه لم يحتجَّ للدلالة فتبطلَ علَّةُ التخييل، فيبطلُ التخييلُ، فلا توجد بدون المكنية كما لا توجد المكنية بدونها. فتقرَّر بهذا أن نحو لفظ الأظفار عند السكاكي قد يكون تخيلاً بدون الاستعارة المكنية كما في المثال المذكور. وعند القزويني إذا وُجد نحو هذا التركيب تكون الأظفار ترشيحاً للتشبيه لا تخيلاً<sup>18</sup>.

فقد جوَّز السكاكي وجودَ المكنية بدون التخييلية كما في (أثبت الربيع البقل)، ووجود التخييلية بدونها كما في (أظفار المنية الشبيهة بالسبع).

والقزويني يرى أنَّ عدمَ استلزام المكنية للتخييلية باطل باتِّفاق<sup>19</sup>، ولكن هذا الرأي ليس على إطلاقه عند سُراح التلخيص، إذ المعنى أن التخييلية لا تأتي وحدها في الكلام البليغ وليس في مُطلق الكلام. "وإلا فقد وُجد له مثالٌ في الكلام غير البليغ كالمثال المذكور (أظفار المنية الشبيهة بالسبع) وكقولك (لسان الحال الشبيه بالمتكلم) و(زمام الحُكم الشبيه بالناقَة)"<sup>20</sup>.

لكنَّ السكاكي لم يكتفِ بذلك المثال غير البليغ للدلالة على انفكاك التخييلية عن المكنية، بل ذكر مثالا من كلام البلغاء، لبيِّن أن حُسْنَ التخييلية ينتج من حسن المكنية متى كانت تابعة لها، وقلَّما تحسُن الحُسْنَ البليغ غير تابعة لها<sup>21</sup>، ولذلك استُهجنت في قول أبي تمام (231هـ):

لا تَسْتَفِينِي مَاءُ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبُّ قَدِ اسْتَعْدَبْتُ مَاءَ بُكَائِي<sup>22</sup>

ومعنى البيت: لا تلمني فيني عاشق قد ألفتُ البكاء واستعدبتُهُ فلا أكادُ أفلعُ عنه لِلْوَمَكِ إِيَّاي، فكفَّ عني. فإنَّ الشاعر قد توهَّم أنَّ للملامة شيئاً شبيهاً بالماء، واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية.

وردّه القزويني بأن لا دليل له فيه، لجواز أن يكون فيه استعارةً مكنية، فيكون قد شبّه الملام بشيء مكروه له ماء، وطوى لفظاً المشبه به ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو الماء. أو أن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، والأصل لا تَسْنِي الملام الشبيهة بالماء<sup>23</sup>.

ويرى القزويني أن في تفسير التخييلية بما ذكر السكاكي تعسفاً، وأخذاً على غير الطريق لما فيه من كثرة الاعتبارات التي لا يدلُّ عليها دليل ولا تمسُّ إليها حاجة. وكثرة الاعتبارات هي تقدير الصور الخيالية ثم تشبيهها بالحققة ثم استعارة اللفظ الموضوع للصور المحققة لها، وفيه مع المكنية اعتبار مُشَبَّهَيْنَ وَوَجْهَيْنَ وَلَفْظَيْنِ وقد لا يَتَّفِقُ إمكانُ صحّة ذلك في كل مادة، أو قد لا يحسن<sup>24</sup>.

ونستطيع أن نُوجز أهمّ الضوابط التي يَشْتَرطها السكاكي في الاستعارة التخييلية كما يلي:

- التخييلية مجاز في اللفظ لا في الإسناد، وهي ما استعمل في صورةٍ مُتَوَهِّمةٍ مُشابهةٍ لصورةٍ محققة، أو أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهياً محضاً لا تحقّق له إلا في مجرّد الوهم، فلا تحقّق له باعتبار ذاته ولا باعتبار ثبوته.

- قرينة المكنية قد تكون مجازاً وقد تكون حقيقة، والقرينة المجازية إما استعارة تخيلية وإما تحقيقية.
- قرينة المكنية بمعنى آخر إن كانت تخيلية فهي مُستعملة بمعنى مجازي، وإن كانت تحقيقية فهي أيضاً مستعملة بمعنى مجازي، وإن كانت حقيقة فهي مستعملة بمعناها الحقيقي (وإنما المجاز في الإثبات، وهو التخييل عند جمهور البلاغيين وليس عند السكاكي).
- المكنية والتخييلية غير مُتلازمين. وقد تُوجد التخييلية بدون المكنية، غير أن حُسن التخييلية مُرتبط بحُسن المكنية، وقد نُستَهجنُ إن انفردت عنها.

### 3. الاستعارة التخييلية عند الزمخشري:

إنَّ جمهورَ البلاغيين وإن اتَّفَقُوا حول معنى التخييل الذي هو إثباتُ لازم المشبه به للمشبه<sup>25</sup>، إلا أنَّ الزمخشري (538هـ) لم يَتَّفِقْ معهم حول ضرورة التلازم بين المكنية والتخييلية. ويرى أن المكنية قد تأتي بدون التخييلية، أي أن قرينة المكنية قد تكون تخيلية، وقد تكون تحقيقية.



فالبلاغيون يَشترطون أن تكون قرينة المكنية استعارة تخيلية فقط، وأن التحقيقية لا تجتمع مع المكنية، والزمخشري حالفهم في هذا الشرط، ورأى أن المكنية قد تكون قرينتها تحقيقية مثلما قد تكون تخيلية. فاحتاج الزمخشري لوضع تفریق بين التخيلية والتحقيقية حتى يَتَميَّز القِسْمَان.

### 3.1 ضابط التفریق بين التخيلية والتحقيقية عند الزمخشري:

ضَابِطُ التفریق عنده أن ننظر في المشبّه الذي أُسِنِدَ إليه لازم المشبّه به، هل يوجد لهذا المشبّه لازمٌ خاصٌّ به يُشبهه لازم المشبّه به، فإن وُجد للمشبّه لازمٌ شبيهٌ بالزم المشبّه به فالاستعارة تحقيقية، وإن لم يوجد فهي تخيلية.

فهما حالتان:

أ. ما وُجد فيه للمشبّه لازمٌ شبيهٌ بالزم المشبّه به (أي القرينة تحقيقية)<sup>26</sup>:

ومثاله قولهم (شجاعٌ يفترسُ أقرانه):

فالمكنية هي في تشبيه الشجاع بالأسد، مع حذف المشبّه به (الأسد) وإبقاء أحد لوازمه (الافتراس).

والمشبّه (الرجل الشجاع) لديه لازمٌ خاصٌّ به يُشبهه (الافتراس)، وهو البطش أو القتل. أي أن القرينة (يفترس) فيها تشبيهٌ آخر، وهو تشبيه البطش والقتل بالافتراس. المشبّه هو: البطش أو القتل. المشبّه به هو: الافتراس. فاستعير اسم المشبّه به للمشبّه، واشتقَّ من الافتراس يفترسُ بمعنى يبطش ويقتل على طريق التصريحية التحقيقية التبعية.

ومثاله أيضا قولهم (عالمٌ يَغْتَرِفُ منه الناس):

المكنية في تشبيه العالم بالبحر بجامع الانتفاع بكُلِّ. ثم حذِفَ المشبّه به (البحر) وُزِمَ إليه بالاغتراف.

وللمشبّه (العالم) لازمٌ خاصٌّ يُشبهه (الاغتراف) وهو الانتفاع. أي لدينا تشبيه الانتفاع بالاغتراف. شبه انتفاع الناس بالعالم بالاغتراف من البحر، واستعير الاغتراف للانتفاع، واشتقَّ من الاغتراف يَغْتَرِفُ، بمعنى يَنْتَفِعُ، على طريق الاستعارة التصريحية التحقيقية التبعية.

ومثاله أيضا قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [البقرة: 27]:  
فالمكنية في تشبيه العهد بالحبل بجامع الربط في كُلاً، فإنَّ العهدَ يربط بين المتعاهدَيْن كما يُربط الشيئان بالحبل. ثم حُذِف المشبه به (الحبل) ورُؤِمَ إليه بلازمه (النقض).  
والمشبه (العهد) لديه لازم خاصُّ يُشبهه (النقض) وهو (الإبطال). أي يوجد تشبيه  
ل(الإبطال) ب(النقض). فشبهَ إبطال العهدِ بنقض طاقات الحبل، واستُعيرَ النقض للإبطال، واشتُقُّ  
من النقض ينقضون، بمعنى يُطْلون، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

ب. ما لم يوجد فيه للمُشَبَّه لازمٌ شبيهةً بلازم المشبَّه به (أي القرينة تخيلية):

ومثاله (أظفار الموت)، فالمشبه الموت ليس له لازمٌ خاصُّ يُشبه الأظفار التي هي لازمٌ  
الحيوان المفترس. ولذا كانت القرينة هنا تخيلية<sup>27</sup>.

وأيضا مثل عبارة (يد الشمال) في بيت لبيد السابق ذكره، فالمشبه (ريح الشمال) ليس له  
لازم يُشبهه (اليد) التي هي من لوازم الإنسان. ولذا كانت القرينة هنا تخيلية (وليست تحقيقية).

### 3. 2 إشكالية اجتماع المكنية والتصريحية عند الزمخشري:

لكن ها هنا إشكالٌ قد يُطرح، إذ قلنا إنَّ الزمخشري يرى اجتماع المكنية والتصريحية معاً في  
مثل (شجاعٌ يفترسُ أقرانه):

المكنية: في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد، وحذف الأسد وتترك أحد لوازمه وهو (الافتراس).

والتصريحية: في تشبيه البطش بالافتراس، وحذف البطش، والتصريح بالمشبه به الافتراس.

وجمهورُ البلاغيين يرون اختيارَ أحدِ التحليلين فقط: إمَّا تحليل المكنية وإمَّا تحليل التصريحية،  
ولا يصحُّ عندهم اجتماعُهُمَا، لأنَّ الأخذ بتحليل المكنية يستدعي حينها كَوْنُ قرينتها تخيليةً فلا  
وجود عندها للتصريحية، وأمَّا الأخذ بتحليل التصريحية فاللفظ فيه مقصودٌ به معنى آخر مجازي، فلا  
يكون كناية حينئذٍ.

بيد أن الزمخشري - كما دكرنا - يرى اجتماعَهُمَا، فاللفظُ نفسه قد يكون استعارة تصريحية  
من جهة، وكناية عن لفظ المشبه به المحذوف في الاستعارة المكنية من جهة ثانية.

فإذا كان لفظ (الافتراس) يُراد به (البطش) في الاستعارة التصريحية، فإنه في الوقت نفسه كناية عن (الأسد) الذي يَنْتُج عنه استعارة مكنية. فكيف يكون ذلك؟ وقد ذُكر جوابان لهذا الإشكال<sup>28</sup>:

الجواب الأول: أن الافتراس إنما شاع استعماله في بطش الرجل الشجاع من حيث تشبيههم الرجل الشجاع بالأسد، فلما نزلوا الرجل الشجاع منزلة الأسد وسمّوه به نزل البطش منزلة الافتراس، فلولا استعارة الأسد للشجاع لم يحسن بل لم يصح استعارة الافتراس للبطش. وكذلك استعارة النقض للإبطال في الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 27]، فإن النقض إنما شاع استعماله في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد حبلا، فلما نزلوا العهد منزلة الحبل وسمّوه به نزل إبطاله منزلة نقضه، فلولا استعارة الحبل للعهد لم يحسن بل لم يصح استعارة النقض للإبطال.

ويُقاس على ذلك أيضاً استعارة الاغتراف للانتفاع، فإنها تابعة لاستعارة البحر للعالم. الجواب الثاني: أنه لما كانت هذه الاستعارات التصريحية تابعة لتلك الاستعارات المكنية ولم تكن مقصودة في أنفسها، بل قصد بها الدلالة على تلك الاستعارات الأخرى، كانت كناية عنها، وهذا لا ينافي كونها في أنفسها استعارة على قياس ما عُرف من أن الكناية لا تنافي لإرادة الحقيقة، فالافتراس مع كونه استعارةً تصريحيةً هو كناية عن استعارة الأسد للرجل الشجاع (أي الاستعارة المكنية).

### وختاماً ضوابط التخيلية عند الزمخشري هي كما يلي:

- الاستعارة التخيلية هي إثبات لازم المشبه به للمشبه، أو إثبات اللازم لغير ما هو له.
- قرينة المكنية قد تكون استعارة تخيلية وقد تكون حقيقية.
- إن وُجد للمشبه في الاستعارة المكنية لازمٌ شبيهٌ بالزمن المشبه به فالقرينة استعارة حقيقية، وإن لم يوجد فالقرينة استعارة تخيلية.

- قرينة المكنية إن كانت تخيلية فهي مُستعملة في معناها الحقيقي والمجاز في الإثبات، وإن كانت تحقيقية فهي مجازية.
- المكنية والتخيلية غير مُتلازمين.

### خاتمة:

- في ختام بحثنا هذا سنحاول أن نُوجز أهمّ نتائجه في النقاط التالية:
- التخييل في البلاغة العربية عَرَفَ دالتين اثنتين: إحداهما إثبات الشيء لغير ما هو له، والثانية إثبات صورة وهمية عن طريق تشبيهها بصورة حسيّة.
  - الاستعارة التخيلية (تبعاً لاختلاف دلالة التخييل) اختلقت بين البلاغيين إلى ثلاثة آراء من حيث ضوابطها الكلية:
  - عند جمهور البلاغيين: الاستعارة التخيلية هي إثبات لازم المشبه به للمشبه، وكلّ منهما مُستعملٌ في معناه الحقيقي وإنما المجاز في الإسناد (مجازاً عقلياً)، وهي قرينةٌ مُلازمة للاستعارة المكنية لا تنفصل عنها.
  - عند السكاكيّ: الاستعارة التخيلية مجاز في اللفظ لا في الإسناد، وهي أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً لا تحقّق له إلا في مجرّد الوهم. والتخيلية قد تكون قرينة للمكنية وقد لا تكون، فهما غير مُتلازمين، إذ قد تكون قرينة المكنية مجازاً إما تخيلياً وإما تحقيقياً، وقد تكون القرينة حقيقة أي مستعملة بمعناها الحقيقي (وإنما المجاز هنا في الإثبات، وهو التخييل عند جمهور البلاغيين وليس عند السكاكي).
  - عند الزمخشريّ: الاستعارة التخيلية هي إثبات لازم المشبه به للمشبه (وهو رأي الجمهور)، غير أنّها قد تكون قرينة للمكنية وقد لا تكون، فهما غير مُتلازمين (وهو رأي السكاكي)، وقرينة المكنية إن كانت تخيلية فهي مُستعملة في معناها الحقيقي، والمجاز في الإثبات، وإن كانت غير تخيلية فهي مجازية.

- قد يَسْتَشْكِلُ بَعْضُهُمْ اجْتِمَاعَ المَكْنِيَةِ والتَصْرِيحِيَّةِ معاً عند الزمخشريّ، إذ كيف يكون اللفظُ نفسه استعارةً تصرّحيةً مِنْ جهة، وكنايةً عن لفظ المشبه به المحذوف في الاستعارة المكنية من جهة ثانية. وقد أُجِيبَ عنه أنه ما وُجِدَتِ التصرّحية في ذاك اللفظ إلا لشيوع استعماله في المعنى المستعار له، نظراً لكونِ التصرّحية تابعةً للمكنية (التي يُعَدُّ ذاك اللفظ كنايةً عن المشبه به المحذوف). وقيل أيضاً إنه لا تَنَافِي في أن يكون اللفظ استعارةً تصرّحية، وأن يكون (بمعناه الحقيقي) كنايةً عن معنى آخر أو صورةً أخرى.

### الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> الدسوقي: حاشية الدسوقي على شرح السعد، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ-1992م، ج4 ص215.
- <sup>2</sup> ديوان لبيد بن ربيعة العامري: لبيد بن ربيعة، دار المعرفة، ط1، 1425هـ - 2004م، ص114.
- <sup>3</sup> يُنظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: السبكي بماء الدين، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ-1992م، ج4 ص199-198.
- <sup>4</sup> يُنظر حاشية الدسوقي: الدسوقي، ج4 ص218.
- <sup>5</sup> يُنظر مفتاح العلوم: السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ - 1987م، ص376.
- <sup>6</sup> حاشية الدسوقي: الدسوقي، ج4 ص150.
- <sup>7</sup> وإنما أحدثوا مُصطلح (التحقيقية ليُكون مُقابلاً للتخييلية، مثلاً هو الشأن بين التصرّحية والمكنية.
- <sup>8</sup> يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ-1992م، ج4 ص185، وأيضاً ص213.
- <sup>9</sup> ينظر حاشية الدسوقي: الدسوقي، ج4 ص162.
- <sup>10</sup> يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ج4 ص185.
- <sup>11</sup> مفتاح العلوم: السكاكي، ص376.
- <sup>12</sup> يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، ج4 ص194.
- <sup>13</sup> ديوان الهذليين، الشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، 3 أجزاء، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1385هـ - 1965م، ج1 ص3.

- 14 يُنظر مفتاح العلوم: السكاكي، ص 376-377.
- 15 يُنظر مختصر السعد على تلخيص المفتاح: سعد الدين التفتازاني، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ-1992م، ج4 ص186.
- 16 يُنظر مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح: ابن يعقوب المغربي، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ-1992م، ج4 ص220.
- 17 يُنظر مختصر السعد على تلخيص المفتاح: سعد الدين التفتازاني، ص196.
- 18 يُنظر مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح: ابن يعقوب المغربي، ص196.
- 19 وللسكاكي أيضا قولٌ سابقٌ بعدم انفكاك المكنية عن التخيلية، ولعل هذا ما جعل القزويني يحكم بالاتفاق. يُنظر مفتاح العلوم: السكاكي، ص379. ويُنظر الإيضاح: الخطيب القزويني، ص213.
- 20 حاشية الدسوقي: الدسوقي، ج4 ص196.
- 21 يُنظر مفتاح العلوم: السكاكي، ص388.
- 22 شرح ديوان أبي تمام: الخطيب التبريزي، جزآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1414هـ-1994م، ج1 ص24.
- 23 ينظر الإيضاح: الخطيب القزويني، ج4 ص202-203.
- 24 يُنظر حاشية الدسوقي: الدسوقي، ص197.
- 25 باعتبار أن أصل الصورة تشبيهه، وإلا فالمناسب للاستعارة هو تسمية المشبه مستعارا له، وتسمية المشبه به مستعارا منه. ونحن في بعض الأحيان سايزنا كثيرا من البلاغيين الذين لا يرون حرجًا في تسمية طرفي الاستعارة مشبها ومشبها به.
- 26 ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، أربعة أجزاء، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3 - 1407هـ، ج1 ص119-120. ويُنظر أيضا: حاشية الدسوقي: للدسوقي، ج4 ص159.
- 27 ينظر الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، ج1 ص119-120. ويُنظر أيضا: حاشية الدسوقي: للدسوقي، ج4 ص159.
- 28 ينظر الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: السيد الشريف الجرجاني (816هـ)، تعليق: رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م، ص375 وما بعدها. وينظر حاشية الدسوقي: للدسوقي، ج4 ص159.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، جزآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1414هـ-1994م.
- 3- الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ-1992م.

- 4- الدسوقي، محمّد بن أحمد بن عرفة: حاشية الدسوقي على شرح السعد، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، 1412هـ-1992م.
- 5- الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أربعة أجزاء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- 6- السبكي بماء الدين: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، ت 1412هـ-1992م.
- 7- سعد الدين التفتازاني، مسعود بن عُمر: مختصر سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، 1412هـ-1992م.
- 8- السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1407هـ - 1987م.
- 9- السيد الشريف الجرجاني: الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تعليق: رشيد أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م.
- 10- الشعراء الهذليون: ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، 3 أجزاء، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1385هـ - 1965م.
- 11- كبيد بن ربيعة: ديوان كبيد بن ربيعة العامري، دار المعرفة، ط1، 1425هـ - 2004م.
- 12- ابن يعقوب المغربي، أبو العباس أحمد بن محمّد: مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، من كتاب شروح التلخيص، أربعة أجزاء، دار الهادي، بيروت، ط4، 1412هـ-1992م.